مجلة جامعة طرطوس للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة العلوم الاقتصادية والقانونية المجلد (٣) العدد (٣) ٢٠١٩
Tartous University Journal for Research and Scientific Studies -Economic and Legal Sciences Series Vol. (٣) No. (٣) ٢٠١٩

العلاقات التاريخية القديمة بين سورية وإيران

أ.د. محمد حسون*

إسمهان عباس**

(تاريخ الإيداع ١٩ / ٢ / ٢٠١٩. قُبِل للنشر في ٢ / ٦ / ٢٠١٩)

□ ملخّص □

يهدف البحث إلى إظهار عمق العلاقات وتطورها التاريخي بين سورية وإيران، هذه العلاقات التي مرت بمراحل متميزة، يتسم كلٌّ منها بخصائص معينة. حيث إن هذا التطور المستمر كان له تأثير مباشر ووثيق على مناهج البحث ونظريات القوة والصراع والأمن وإدارة الأزمة الدولية. فالعلاقات الدولية هي جزءٌ من علم السياسة كونها ميداناً معرفياً لواقع المجتمع السياسي. هذا وشكلت الأرض السورية منبعاً حضارياً وفكرياً للكثير من الحضارات المعاصرة لها أو اللاحقة، كما كانت مركزاً لنشوء العقائد الدينية الوثنية منها أو التوحيدية، وأرضاً خصبةً لأدب الملاحم البطولية والأسطورية، كما أظهرت الكشوف الأثرية لمملكة إبلا السورية. هذا وقد اتُبِع المنهج التحليلي التاريخي الذي يعتمد على تحليل النصوص الواردة في أرشيف الممالك السورية القديمة كإبلا وماري .... وغيرها.

هذا وألقى البحث الضوء على عمق العلاقة السورية – الإيرانية وتاريخها القديم بالاعتماد على مصادر ووثائق تاريخية، مكتشفة من قبل الباحثين التاريخين في المناطق الأثرية السورية وخاصة الألواح الطينية الدالة على مدى عمق هذه العلاقة ومكانتها والتي أسست لها العلاقات الاقتصادية وخاصة التجارية منها.

الكلمات المفتاحية : الوثائق التاريخية، التحالفات الدولية، الصراع، الكشوف الأثرية، التحليل التاريخي.

*استاذ في كلية العلوم السياسية– قسم العلاقات الدولية –جامعة دمشق

**طالبة دراسات عليا– كلية العلوم السياسية – قسم العلاقات الدولية –جامعة دمشق

مجلة جامعة طرطوس للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة العلوم الاقتصادية والقانونية المجلد (٣) العدد (٣) ٢٠١٩
Tartous University Journal for Research and Scientific Studies -Economic and Legal Sciences Series Vol. (٣) No. (٣) ٢٠١٩

Historical relations between Syria and Iran

(Received 19 / 2 / 2019 . Accepted 2 / 6 / 2019)

□ ABSTRACT □

The research aims to show the depth of relations and historical development between Syria and Iran. These relations have undergone distinct stages, each of which has certain characteristics. As this continuous development has had a direct and close impact on the research methods and theories of power, conflict, security and management of the international crisis. International relations are part of the science of politics as a field of knowledge of the reality of the political community. The Syrian land constituted a cultural and intellectual resource for many of its contemporary or later civilizations, its was also the center of the emergence of pagan or monotheistic religious beliefs, and fertile ground for the literature of heroism heroic and legendary, as evidenced by archaeological discoveries of the Syrian kingdom of Ebla. This land from which international and regional relations were launched, where its ancient archaeological kingdoms (Ebla, Mari, Ugarit….).

The research shows the depth of the Syrian – Iranian relationship and its ancient history, based on historical sources and documents, is discovered by the historical researchers in the Syrian archeological areas, especially clay tablets that indicate the depth of this relationship and its status, which established economic relations, especially commercial ones.

Key words : Historical Documents, International Alliances, Conflict, Archaeological excavations, Historical analysis.

مقدمة

ابتكر الإنسان عبر التاريخ حضارات تعرفنا عليها من خلال الشواهد المادية التي عثرت عليها البعثات الأثرية، والتي ما زالت تكشف لنا المزيد من هذه الشواهد، وتلقي الضوء على تاريخها وأصحابها والإنجازات الحضارية لها. هذه الأعمال العلمية مكنت المؤرخين من التعرف على عصور ساحقة القدم، كما مكنتهم من تقسيم هذه العصور إلى أزمنة هي " عصور ما قبل التاريخ" و"العصور التاريخية".

تُعد منطقة الشرق القديم الرائدة في ميلاد الحضارة الإنسانية، ليس بسبب الموقع الجغرافي المتوسط للعالم فقط، وليس بسبب المنجزات الحضارية وعطاءاتها المتنوعة من فكرٍ وعلمٍ وفنٍ، وإنما بسبب ما قدمته من مبادراتٍ وتأثيرها الحضاري في الحضارات الأخرى. كما تبين الدراسات أنها المنطقة التي كانت مهد الحضارات، وفيها بدأ التاريخ ثم اختراع الكتابة واكتشاف الأبجدية، ومنها نهلت الشعوب الأخرى مجالاتها الحضارية.

كانت الأرض السورية منبعاً حضارياً وفكرياً للكثير من الحضارات المعاصرة لها أو اللاحقة، كما كانت مركزاً لنشوء العقائد الدينية الوثنية منها أو التوحيدية، وأرضاً خصبةً لأدب الملاحم البطولية والأسطورية، كما أظهرت الكشوف الأثرية لمملكة إبلا السورية. هذه الأرض التي انطلقت منها العلاقات الدولية والإقليمية، حيث أقامت ممالكها الأثرية القديمة (إبلا، ماري، أوجاريت ...) العديد من العلاقات السياسية والاقتصادية، وإقامة التحالفات الدولية، لكن المصادر التاريخية تتحدث عن العلاقات التجارية والمبادلات الاقتصادية أكثر، وكانت العلاقات السورية – الإيرانية في هذا المجال رائدةً من حيث المبادلات التجارية ولا سيما في مجال المعادن التي تُعتبر الأرض الإيرانية المنبع الأول لمعدن القصدير وغيره من المعادن الثمينة في تلك الفترة.

أهمية البحث

تنبع أهمية البحث من كونه يتناول علاقات دولية ذات جذور تاريخية قديمة، وأيضاً كونه يقدم مجموعة من الكتابات والنصوص التاريخية عن عمق العلاقة الدولية بين سورية وإيران منذ القديم. كما ويعكس البحث أهمية هذه العلاقة على الواقع السوري الحالي.

أهداف البحث

يهدف البحث إلى إلقاء الضوء على مدى عمق وأصالة العلاقة السورية الإيرانية، كما ويشير إلى مدى تلاقي الثقافة الاقتصادية الإيرانية مع الثقافة الاقتصادية السورية. ويهدف أيضاً إلى التعرف على طبيعة العلاقة بين البلدين، وإثبات جودة ومتانة هذه العلاقة على مرّ العصور.

مشكلة البحث

تُعد العلاقة السورية والإيرانية من العلاقات التاريخية ذات الجذور المتأصلة في التعاملات الدولية وعلى كافة الأصعدة. ومشكلة البحث الرئيسة يمكن تناولها من خلال طرح عدة تساؤلات هي:

١– ما هو دور النصوص والكتابة التاريخية في إظهار عمق العلاقة التاريخية بين سورية وإيران؟

٢- ما هي المكانة التاريخية التي أظهرتها النصوص لهذه العلاقة.
٣-هل أثرت العلاقات السورية – الإيرانية القديمة على العلاقات الحالية بين الدولتين؟

منهج البحث

يعتمد البحث على المنهج التحليلي الذي يقوم على دراسة بعض النصوص التاريخية القديمة الموجودة في أرشيف الدول والممالك السورية القديمة (إبلا، ماري، أوجاريت ...). والتي تبين مدى عمق العلاقات السورية – الإيرانية في كافة نواحي الحياة وخاصةً الاقتصادية التي تعتمد على استيراد الإيرانيين القمح والزيت السوري مقابل الحصول على الأحجار الثمينة والمعادن من المدن الإيرانية.

البذور الأولى للعلاقات السورية – الإيرانية

إن عملية تخزين الفائض من المحاصيل الزراعية، كان هذا بداية لازدهار مدن سورية القديمة مثل ماري وشوبات – إنليل (تل ليلان حالياً)[٢]. هذا المخزون دفع بهذه المدن إلى التوجه بأنظارها نحو مبادلات ومقايضات تجارية مع ممالك ودول مناطق الجوار، ولا سيما إن هذه المدن كانت محرومة من الأخشاب والمعادن الثمينة، لذلك وجب عليها استيراد هذه المواد، فالعاج والذهب من إفريقيا والخشب من سواحل لبنان وسورية والفضة والحديد والقصدير من إيران (بلاد عيلام قديماً) وأفغانستان[٣].

إن نقل المواد والمتاجرة بها من أماكن بعيدة خلق ما يُعرف بالعلاقات الواسعة والمتبادلة بين ممالك ودول مناطق بلاد الشام من جهة والمناطق القريبة والبعيدة عنها من جهةٍ أخرى. لكن هذا أيضاً خلق واقعاً أمنياً يهدد التجارة الدولية سواء من قبل سكان الجبال أو سكان البادية والمتمثل بالصراع بين الحضر والبدو. هذا الواقع دفع إلى طرح مشكلة تمثلت بالتنظيم السياسي والعسكري الذي اتسع ليشمل تحالفات وعلاقات دولية تجاوزت الشام والعراق ومصر لتشمل الجوار إيران (عيلام قديماً) وتركيا(الأناضول قديماً)[٤].

المصادر التاريخية السورية للعلاقات السورية – الإيرانية

كانت الكتابات والمراسلات الملكية من أهم المصادر التاريخية إلى جانب الآثار المادية، حيث يُقدر ظهورها في نهاية الألف الرابعة وبداية الألف الثالثة قبل الميلاد (حوالي ٣٢٠٠ ق.م). ويمكننا ذكر أهم هذه المحفوظات الكتابية :

١- كتابات أوجاريت : والتي تغطي فترة تاريخية تمتد بين القرنيين ١٣ و١٤ ق.م، وتمثل العصر الذهبي للمملكة أوجاريت، ودورها الحضاري والاقتصادي وعلاقاتها التجارية مع دول الجوار مصر وبلاد إيجة وعيلام.
٢- محفوظات ماري : والتي جرى الكشف عنها في عام ١٩٣٣م في موقع تل الحريري اليوم على نهر الفرات، وقد بلغ عددها ٢٠ ألف رُقيم، وهي عبارة عن محفوظات ووثائق اقتصادية وإدارية ورسائل بين ملوك ماري

---

[٢] Field, Ancient and Modern Man in South west ern Asia Maiami, 1956-1961.
[٣] انظر Field، مرجع سبق ذكره.
[٤] عبد الله فيصل، تاريخ الوطن العربي القديم (بلاد الشام = سورية ولبنان وفلسطين والأردن)، منشورات جامعة دمشق، سورية – دمشق، ٢٠٠٣-٢٠٠٤.

وعلى رأسهم الملك "زمري – ليم" وملوك الممالك القريبة (إبلا، حلب "يمحاض"، ...) والبعيدة عنها (مصر، عيلام، الأناضول،.....).

٣- محفوظات إبلا : وتتضمن ١٦ ألف رُقيم كُتب بالخط المسماري، والذي يُعد أيضاً إلى جانب اللغة الأكادية من أقدم اللغات المكتوبة وجميع نصوصها تتحدث عن الأمور الاقتصادية وذلك يعود إلى نشاطات إبلا التجارية الواسعة مع دول ومناطق العالم القديم (بلاد الرافدين، مصر، عيلام، الأناضول، ...)[٥].

صور الوجود العيلامي في الوثائق التاريخية السورية

أ. وثائق إبلا الاقتصادية : قامت في إبلا صناعات اعتمد بعضها على المنتجات المحلية التي وفرت لها الثروة الزراعية والحيوانية القاعدة الأساسية في توفير المادة الأولية لها، فنشأت صناعة الغزل والأنسجة الكتانية والصوفية. كما قامت بعض الصناعات فيها بالاعتماد على المعادن المستوردة كالنحاس من قبرص والفضة من الأناضول والذهب من وادي النيل والقصدير من عيلام (إيران). فقد اهتم التجار الإبلائيون بالمواد المعدنية غير المتوفرة ببلادهم والتي سعوا للحصول عليها من المناطق الغربية عن طريق البحر ومن المناطق الشرقية أفغانستان وعيلام التي جُلب منها القصدير والأحجار الكريمة وخاصةً اللازورد[٦].

ب. وثائق ماري : هذه المملكة التي تميزت بموقع مهم على نهر الفرات الأوسط، والتي شكلت نقطة الوصل بين الجنوب الرافدي وشماله، وبين الشرق (عيلام وأفغانستان) والغرب السوري. وشكلت بموقعها على الطرق التجارية النقطة الرئيسة النهرية والبرية التي تربط الطرق التجارية القادمة ما بين الغرب (البحر المتوسط) والجنوب الرافدي والشرق العيلامي والفرات الأوسط والجزيرة السورية العليا عبر تدمر باتجاه الجنوب والغرب السوري[٧].

حيث عُدت ماري محطة مهمة بالنسبة إلى التجار وقوافلهم التجارية القادمة من مختلف الاتجاهات (بلاد الشام، بلاد الرافدين، آسيا الصغرى، عيلام، .... وغيرها). وإن هذه المكانة التجارية لماري دفعت بالملك زمري – ليم إلى الاهتمام بشؤون التجار المحليين والأجانب وتوطيد علاقات الصداقة مع ملوك الممالك المجاورة له وذلك عن طريق المراسلات أو تعيين سفراء رسميين يمثلونه في تلك البلدان أو المناطق. أم أهم البضائع المتاجر بها في زمنه والتي تذكرها النصوص هي : الحبوب من سورية الداخلية والجزيرة العليا، الأخشاب من جبال الأمانوس وجبال لبنان، والزيت من حلب، والخيول من قطنة، والقصدير من عيلام[٨].

---

[٥] شحود أحمد، تاريخ سورية القديم، منشورات جامعة طرطوس، ٢٠١٦-٢٠١٧، ص٢٤-٢٥.

[٦] عبد الله فيصل، تاريخ الوطن العربي القديم (بلاد الشام = سورية ولبنان وفلسطين والأردن)، مصدر سبق ذكره، ص٤٥.

[٧] Castel, C. "La ville de Mari" Joannès F. (éditeur), Dictionnaire de la civilization Mésopotamienne", Paris, 2001, p.502-503.

[٨] Dossin G. "La route de l'étain en Mésopotamie au Tempe de Zimri – Lim", in RA 64 No2, 1970, 106 No de Lettre (A.1270).

وفيما يلي نص يشير إلى أهمية القصدير في المبادلات التجارية لملك ماري زمري – ليم.

١- ١٤ وزنة ٣٠ مينة من القصدير،

٢- التي (صدرت) عن ماري،

٣- ١ وزنة من القصدير إلى حمورابي، ملك بابل،

٤- أرسلها (قدّمها) إلى حلب.

٥- ٢٠ مينة من القصدير (مصدرها) أُرسلت من شيلارباك.

ت. وثائق مملكة يمحاض (حلب اليوم) : تُعدّ هذه المملكة من الممالك المهمة في الشمال السوري، كونها تُشكل موقعاً مهماً على الطريق التجاري الواصل ما بين الصين وأفغانستان في الشرق عبر بلاد عيلام والأناضول في الشمال والبحر المتوسط من الغرب، وكونها أقدم مدينة مأهولة على وجه المعمورة[٩]. حيث شغلت حلب مكانة جغرافية وزمانية مهمة، أدخلت الإعجاب إلى من زارها، ودفعت بالكثيرين إلى التغني بها ووصفها، وقد عبر سوفاجيه

٦- ٢٠ مينة من القصدير (مصدرها) أُهديت من إشخي دجن.
٧- و يتار – أدو،
٨- (نقلاها) في أوجاريت،
٩- المجموع : ١٤٠ وزنة و١٠ مينة من القصدير، ملكية الخزينة.
١٠- عند ذاك ١١ و٣/٢ مينة من القصدير ملكية الخزينة.
١١- ٩ وزنات و٢٧ مينة و٨ مثاقيل من القصدير
١٢- إلى ياريم – ليم،
١٣- /١/ وزنة ونصف مينة و٧ مثاقيل من القصدير إلى السيدة كاشيرا،
١٤- ٣٠ مينة من القصدير إلى حمورابي،
١٥- ١٦ و٣/٢ مينة من القصدير إلى طاب بلاطي،
١٦- ٨ مينات من القصدير إلى سين – أبو – شو.
١٧- من حلب،
١٨- ١٠ مينات من القصدير إلى سومو – إرَخ
١٩- من مدينة مو زونو،
٢٠- ٨و٣/١ مينات من القصدير إلى ويريتالدّو ملك خاصور،
٢١- من لابيش
٢٢- ٣٠ مينة من القصدير إلى ابني – أدو، ملك خاصور،
٢٣- مسؤول : أد [إي....] في هازازار
٢٤- لأول مرة
٢٥- ٢٠ مينة من القصدير إلى أمود – بي – إيل.
٢٦- ٢٠ مينة من القصدير إلى إلى ابني أدو،
٢٧- [ب....] المرة الثانية،
٢٨- [x] مينة من القصدير إلى الترجمان،
٢٩- ١ [+؟] من القصدير إلى الترجمان.
٣٠- ؟ مينات من القصدير
٣١- في أوجاريت
٣٢- ٢٠ مينة من القصدير إلى ابني – أدو للمرة الثالثة
٣٣- ..... ياريم – ليم
٣٤- .....
٣٥- .....
٣٦- .....
٣٧- وزنتان من القصدير

٣٨- دور – سومو – إيبوخ.

[٩] عبد الله فيصل، تاريخ الوطن العربي القديم (بلاد الشام = سورية ولبنان وفلسطين والأردن)، مصدر سبق ذكره، ص٩٩.

أحد الباحثين الأوروبيين عن إعجابه بها بقوله : " لا اسطنبول ولا القاهرة ولا دمشق ولا بغداد ولا أصفهان أكثر انشراحاً وشهرةً وغنى بالماضي الغابر وذكرياته وعمارته العظيمة، ولا تمثل أي منها ذلك القدر من الاتساع والجمال الخلاب، وذلك الحرص على الإتقان المعماري"[١٠]. وأيضاً ما يدلنا على أهمية حلب ومكانتها ذكرها في نصوص ووثائق الممالك القريبة والبعيدة مثل ممالك بلاد الرافدين والأناضول وعيلام[١١].

ث. وثائق تدمر : لعبت تدمر دوراً كبيراً كونها مركزاً اقتصادياً وسياسياً مهماً، ومن كونها تمتلك مراعيَ واسعة، كما أنها كانت نقطة تجمع واتصال بالنسبة إلى البدو. وأصبح لتدمر دور استراتيجي على الطريق التجاري، إذ إنها تُشكل نقطة عبور ترانزيت للشاحنات القادمة من مرافئ سواحل البحر المتوسط باتجاه الشرق (العراق وإيران وأفغانستان). هذا الطريق الذي أُطلق عليه اسم طريق القصدير لكثرة المبادلات التجارية التي كانت تتم عبره ما بين ممالك ودول سورية وإيران وأفغانستان[١٢].

القصدير الإيراني في نصوص ماري

حُمل القصدير من عيلام (إيران) من قبل التجار الآشوريين في الألف الثاني قبل الميلاد إلى ماري، وأُطلق قديماً على هذا الطريق اسم "طريق القصدير"[١٣]. والقصدير والنحاس كانا يُقدمان لأعمال ملوك الممالك مثل "كركميش، أرسو، حلب، قطنة، خاصور، أوجاريت"[١٤]. كما تُشير مصادر ماري إلى مناطق القصدير وأيضاً الكمية التي كانت تُجلب من سوسة العليا ومناطق أخرى. فالنص رقم /٢٠/ من المجلد الخامس من أرشيف ماري، يُقدم لنا أعداد المناجم التي كان يُرسل منها القصدير عبر إشيم – داكان وأخوه إشخي – داكان، والنص رقم /١٦/ من أرشيف ماري والذي يُقدم لنا كمية القصدير التي حُملت من عيلام (٢ بار وهي وحدة قياس القصدير)[١٥].

أصول كلمة عيلام في المصادر التاريخية

يُشير بعض المؤرخين ومنهم المؤرخ طه باقر إلى أن السومريين قد سموا الإقليم الكائن إلى الشرق من وادي الرافدين الأسفل بمصطلح يفيد معنى النجف المرتفع، وسماه الأكاديون في العراق باسم (إيلامتو)، وهي تصحيح للكلمة السومرية (إنم –نيم) وذلك بإبدال النون لاماً، وإن جاز احتمال اشتقاق الاسم السومري من الاسم السامي (عيلام – إيلام). وأما العيلاميون سموا أنفسهم (حاورتي) أو (حافرتي) وله قراءة أخرى (خاتمتي) التي تفيد معنى (أرض الإله)،

[١٠] Sauvaget J. Alep, essai sur le développement d'une grande ville syriènne, des origins au milieu du XIX siècle, Paris, 1941, p. 10–11.

[١١] Abdallah F. "Les relations internationals entre le royaume d'Alep/Yamhad et les villes de Syrie du Nord 1800 à 1594 av. J.-C.", Syria, Damascus.

[١٢] Oppenheim L. " La Mésopotamie, portrait d'une civilization, Paris, 1970, p. 160.

[١٣] Michel C. "Le commerce dans les textes de Mari", Amurru I Mari, Ebla et les Hourrites dixans de travaux textes réunis par Durand, Paris, 1993, p.390.

[١٤] انظر المرجع السابق، ص٣٩١.

[١٥] Limet H. "Textes administratifs relatifs aux métaux", ARM XXV texte n° 16, Paris, p.5.

وأما النصوص الفارسية المتأخرة فعرفت الإقليم باسم (هوفاجا) ومنه الكلمة العربية (خور) و(خويرة) وهو إقليم (خوزستان)[١٦].

يُعتبر النصف الأول من الألف الأول قبل الميلاد نقطة تحول كبيرة في تاريخ الإنسانية، فقد انتقل مركز (السياسة الدولية) من الأودية التي ظهرت فيها أقدم الحضارات، مثل حضارة وادي الرافدين وحضارة وادي النيل إلى مناطق ذات مظاهر طبيعية قاسية، حيث تركز الصراع على القوى الدولية الرئيسة وهي ثلاث قوى : الآشوريون ومملكة أورارتو والإيرانيون الذين تمكنوا بعد كفاح طويل وشاق من الانتصار على كلا القوتين السابقتين، وتمكنوا من إقامة إمبراطورية على أنقاضهما[١٧].

جذور الإنسان الإيراني

لقد أظهرت البحوث والدراسات الأثرية أن الإنسان استقر في إيران منذ عصور ما قبل الكتابة (التاريخ)، وأقام بعض الممالك في العصور التاريخية كمملكة عيلام. غير ان أشهر الممالك والإمبراطورات الإيرانية وأقواها كان الميديون والفرس، حيث يرد أقدم ذكر لهم في حوليات الملك الأشوري (شلمناصر الثالث ٨٥٨–٨٢٤ ق.م). وقد استوطن الميديون المنطقة الواقعة جنوب غربي بحر قزوين وسموها ميديا، واستطاعوا تأسيس دولة قوية في نهاية القرن الثامن قبل الميلاد. لكن هذه المملكة دخلت في مرحلة الضعف بعد وفاة ملكها القوي كيخسروو لتبدأ إمبراطورية إيرانية جديدة بالظهور والتي امتلكت من القوة بما مكنتها من توسيع سلطان مملكتها، وأُطلق عليه اسم الإمبراطورية الفارسية الأخمينية تمجيداً لها لكونها موطناً للسلالة الأخمينية الحاكمة.

الأنظمة في الإمبراطورية الفارسية الأخمينية

كان الملك رأس الدولة، ويُسمى الملك المحارب، وهذا يدل على الصبغة العسكرية للإمبراطورية الإيرانية. ويصل الملك إلى العرش عن طريق الوراثة، وأحياناً عن طريق القوة، كما فعل داريوس، وكان يحق للملك اختيار خليفة له من بين أبنائه. كانت سلطته مطلقة نظرياً أما عملياً فكانت مقيدة بتقاليد وعادات كثيرة، وبقوة النبلاء والأعيان الذين كانوا يؤلفون مجلساً استشارياً للملك.

لم يكن الملك مؤلهاً، كما كان الحال في مصر القديمة، لكنه ادعى أن الآلهة تُقدم المساعدة له، وهذا النص يُشير إلى مساعدة مردوك للملك قورش الثاني " فتش (مردوك) كل البلاد وفحص وبحث عن حاكم عادل حسب ما يرغب قلبه، أمسكه بيده : قورش ملك أنشان دعاه لحكم الكون، ونطق باسمه .... مردوك السيد الكبير الذي يعتني برعاياه نظر فرحاً إلى أعماله الطيبة وإلى قلبه العادل ....."[١٨].

---

[١٦] قابلو جباغ، فرعون محمود، تاريخ الحضارة القديمة في الوطن العربي، منشورات جامعة دمشق، سورية – دمشق، ٢٠٠٩، ص٢٢٧.

[١٧] Ali Baigi, Sajjad ant All., "The discovery of aneo assyrain rock-Relief at Mishkhas, Ilam province", Iranica antique, Iran, Vol. XLVII, 2012, p.29-34.

[١٨] عبد الله فيصل، بابل في عهد نابونيد آخر ملوكها، مجلة دراسات تاريخية، العدد ٦٣-٦٤، سورية – دمشق، ١٩٩٨، ص٤١.

وهذا داريوس يتحدث في نقش طويل عن كيفية وصوله إلى العرش بمساعدة أهورامزدا الإله الذي بشّر به زرادشت : "أنا داريوس الملك الكبير، ملك الملوك، ملك الفرس، ملك الأرض، ابن هسطاسبيس، حفيد أرشم الأخميني، هكذا يتكلم الملك داريوس : بمعونة أهورا مزدا أنا الملك. أهورا مزدا، وأعانتني الآلهة الأخرى الموجودة"[١٩].

ترك الفرس الأخمينيون حرية إدارة شؤون البلاد التي أخضعوها لسلطانهم وممارسة عباداتها الخاصة بها. وقُسمت الإمبراطورية إلى ولايات/وحدات إدارية/ تُدار من قبل ستراب أي والي مسؤول عن الشؤون المدنية وجمع الضرائب ومن قائد عسكري مسؤول عن حفظ الأمن والنظام والشؤون العسكرية. كان تحت تصرف الملك موظفون خاصون هم أشبه بالمفتشين توكل إليهم مهمة تنفيذ القوانين والأوامر الملكية في الولايات. أما القضاء كان الملك القاضي الأعلى، لكن كان ينوب عنه في تسيير المور القضائية أحد العلماء الشيوخ.

النظام الاقتصادي للإمبراطورية الفارسية الأخمينية

قام الأباطرة الفرس ببناء منشآت مائية ضخمة وشجعوا الزراعة، واهتموا بالتجارة معتمدين على هيئة مصرفية تستخدم ما يشبه الشبكات، ونظموا شبكة الطرق والبريد. كما اهتم الفرس بالحرف والصناعة الذين تركوا أمرها إلى المملك والشعوب التي كانت خاضعة لهم. وقد ازدهرت التجارة بسبب استتباب الأمن في مختلف أرجاء الإمبراطورية.

كما وأرسل الملك داريوس البعثات الاستكشافية إلى البلدان البعيدة، واحدة منها إلى الهند بقيادة أمير البحر سكيلاكس والثانية إلى جنوبي إيطاليا بقيادة طبيبه الخاص ديموكيدس. كما وحاول داريوس إنعاش الحياة الاقتصادية في مصر بمتابعة العمل في القناة التي تصل بين البحر الأحمر والبحر المتوسط عن طريق نهر النيل، والتي كان الفرعون ينخو الثاني (٦١٠ – ٥٩٥ ق.م) قد أوقف العمل فيها. وقد ورد ذكر هذا الحدث في نقش كُتب باللغتين المصرية القديمة والفارسية القديمة، حيث يقول داريوس فيه :

"إنني فارسي، استوليت على مصر، وقد أمرت أن تُحفر هذه القناة من نهر النيل الذي يجري في مصر إلى البحر الذي يصل من فارس. وقد مرت السفن من مصر عبر هذه القناة إلى فارس بمقتضى رغبتي، ووصلت سفن الجزية إلى فارس وكانت تبلغ أربعاً وعشرين سفينة سنوياً"[٢٠].

النظام الديني

قدّس الإيرانيون في بداية تاريخهم قوى الطبيعة المختلفة كالشمس والقمر والماء والرياح وغيرها. وعبدوا الديانة الزرادشتية /ماه/ غله القمر و/أنيتا/ آلهة الخصب، و/زامم إله الأرض. وقد اكتسبت الإمبراطورية الفارسية الإخمينية مصدراً جديداً من القوة مع الدين الموحد الجديد الذي نادى به زرادشت المعروف بالفارسية القديمة باسم /زراتوسترا/

[١٩] فرزات محمد حرب، مدخل إلى تاريخ فارس وحضارتها القديمة قبل الإسلام، جامعة دمشق، سورية – دمشق، ١٩٨٨ -١٩٨٩، ص٨٥-٨٨.

[٢٠] مرعي عيد، موجز تاريخ مصر القديم وحضارتها، بيشة – مصر، ٢٠٠٥، ص٢٥١.

والذي عاش ما بين ٦٦٠ – ٥٨٣ ق.م. فما هي الديانة الزرادشتية : هي ديانة تقوم على الإيمان بإله واحد للعالم هو أهورا مزدا، إله النور والسماء والحق والعدل والخير[٢١].

لقد عرف المفكرون المسلمون الزرادشتية وكتبوا عنها (دون أن يؤمنوا بها) من أمثال الشهرستاني في كتابه الملل والنِحل : "أولئك هم أصحاب زرادشت بن يورشب الذي ظهر في زمان كشتاسب بن الهراب الملك ك وابوه كان من أذربيجان، وامه من الري واسمها : غدوية .... وكان دينه عبادة الله، والكفر بالشيطان، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، واجتناب الخبائث. ..... وقال : "النور والظلمة أصلان متضادان، وكذلك (يزدان) "أهورا مزدا وأهرمن" وهما مبدأ موجودات العالم، وحصلت التراكيب من امتزاجهما، وحدثت الصور من التراكيب المختلف....."[٢٢].

النظام الثقافي والعلمي

استخدم الفرس الأخمينيون لغات وكتابات متعددة في إمبراطوريتهم، فقد كانت اللغة الآرامية اللغة الرسمية في ولايات الإمبراطورية الغربية، حيث دُونت بها الوثائق والمراسلات الرسمية المختلفة. إن وجود اللغة الآرامية وإتقانها في إيران سابقاً دليلاً على مدى عمق العلاقات السورية – الإيرانية في تلك الفترة. كما واستُخدمت اللغة الفارسية القديمة واللهجة البابلية المتأخرة واللغة العيلامية الحديثة، هذا ما يظهره نقش الملك داريوس الأول على صخور بهيستون الواقعة على الطريق التجاري القديم الواصل بين بابل في بلاد الرافدين واكباتان في إيران.

من المؤثرات اللغوية القوية بين إيران والوطن العربي من خلال اللغة البهلوية والتي تتضمن عناصر فرتية وفارسية وسطى، وتظهر فيها تأثيرات إضافية من لهجات إيرانية أخرى. كُتبت بخط عربي – فارسي، وقواعدها أسهل من قواعد الفارسية الوسطى، وفيها مفردات عربية كثيرة. وهناك من يرى أن اللغة الفارسية الحديثة ازدهرت وترعرعت في أحضان الأبجدية العربية بعد انتشار الدين الإسلامي، بالمقابل تأثرت العربية بالفارسية الحديثة واستعارت منها العديد من الكلمات وبخاصة تلك المتعلقة بالتنظيمات الإدارية، كالديوان والبريد.

كما واهتم الفرس بالعلوم حيث أنشأ الملك داريوس الأول، مدرسة للطب في مصر. وكان على الطبيب الناشئ أن يبدأ مهنته بعلاج الكفرة والأجانب، فإذا أثبت كفاءته يُسمح له بمعالجة الفرس. ودخل إيران في العصر الأخميني كثير من الأطباء الإغريق الذين أسهموا في إدخال معارف الإغريق الطبية وغيرها من العلوم إلى إيران.

الخاتمة

من خلال ما عُرض في البحث، تبين لنا مدى عمق العلاقات والارتباط بين التاريخ الإيراني القديم والتاريخ العربي (السوري – الرافدي). حيث قدمت الحضارة الإيرانية القديمة الكثير من الاسهامات والتطورات والوقائع العلمية والثقافية الدينية للوطن العربي، وهذا ما برهنت عليه الوثائق والمصادر التاريخية السورية موضحةً مدى عمق العلاقات السورية – الإيرانية، وذلك من خلال العلاقات الاقتصادية المتمثلة بالتجارة المتبادلة بين الطرفين.

---

[٢١] لمعلومات أكثر عن الزرادشتية، انظر : محمد حرب فرزات، مرجع سبق ذكره، ص٩١.

[٢٢] الشهرستاني، أبي الفتح محمد بن عبد الكريم، الملل والنّحل، تحقيق محمد بن عبد القادر الفاضلي، لبنان – بيروت، ٢٠٠٣، ص٢٠٠.

هذه الأحداث والتطورات في العلاقات السورية – الإيرانية القديمة شكلت المرتكزات الأساسية للعلاقات الحالية التي تنعكس وبشكل إيجابي على العلاقات بين البلدين اليوم، وبشكل خاص بوقوف الجمهورية الإسلامية الإيرانية حكومةً وشعباً، وتقديم كل أشكال الدعم والتضحيات للوقوف بوجه الهجمة الشرسة المعادية للدولة السورية وشعبها.

أيضاً مهما حاول الكيان الصهيوني في حشد القوى المعادية للجمهورية الإسلامية الإيرانية وإبعادها عن المنطقة، تبقى الجذور التاريخية التي وثقتها النصوص والوثائق التاريخية، هي الدليل على عمق الترابط بين إيران وسورية. على عكس الكيان الصهيوني الذي يسعى ويحفر في فلسطين ويبحث في كل مكان عن أية وثيقة تثبت وجوده، ولكن لم ولن يجد أي كلمة أو حرف يدل على وجوده في منطقتنا ولا في أي منطقة لأنه لا وجود له لا في التاريخ البعيد والقريب ولا في الحاضر.

نتائج البحث

١- وضح البحث عمق العلاقات السورية – الإيرانية عبر التاريخ.

٢- قدم صورة عن العلاقات الدولية ذات العمق المتجذر في التاريخ.

٣- أعطى البحث أهمية للعلاقات الصادقة في التعامل ما بين الدول واحترام الشعوب من خلال وقوف إيران في الوقت الراهن إلى جانب الشعب السوري في تضحياته في مواجهة الإرهاب الصهيو–غربي وبالتحديد الصهيو–أمريكي.

٤- تمثل العلاقات السورية الإيرانية اليوم مثالاً من الأمثلة للعلاقات القديمة التي تجمع الشعبين.

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع العربية

١- جباغ قابلو، محمود فرعون، تاريخ الحضارة القديمة في الوطن العربي، منشورات جامعة دمشق، سورية – دمشق، ٢٠٠٩.

٢- شحود أحمد، تاريخ سورية القديم، منشورات جامعة طرطوس، كلية السياحة، ٢٠١٦–٢٠١٧.

٣- عيد مرعي، موجز تاريخ مصر القديم وحضارتها، بيشة – مصر، ٢٠٠٥.

٤- فيصل عبد الله، تاريخ الوطن العربي القديم (بلاد الشام = سورية ولبنان وفلسطين والأردن)، منشورات جامعة دمشق، سورية – دمشق، ٢٠٠٣ –٢٠٠٤.

٥- الشهرستاني، أبي الفتح محمد بن عبد الكريم، الملل والنّحل، تحقيق محمد بن عبد القادر الفاضلي، لبنان – بيروت، ٢٠٠٣.

٦- محمد حرب فرزات، مدخل إلى تاريخ فارس وحضارتها القديمة قبل الإسلام، جامعة دمشق، سورية – دمشق، ١٩٨٨ –١٩٨٩.

المصادر والمراجع الأجنبية

1- Abdallah F. "Les relations internationals entre le royaume d'Alep/Yamhad et les villes de Syrie du Nord 1800 à 1594 av. J.-C.", Syria, Damascus,1998.

2- Ali Baigi, Sajjad ant All., "The discovery of aneo assyrain rock-Relief at Mishkhas, Ilam province", Iranica antique, Iran, Vol. XLVII, 2012.

3- Castel, C. "La ville de Mari" Joannès F. (éditeur), Dictionnaire de la civilization Mésopotamienne", Paris,2002.

4- Dossin G. "La route de l'étain en Mésopotamie au Tempe de Zimri – Lim", in RA 64 No2, 106 No de Lettre (A.1270), 1970.

5-Field, Ancient and Modern Man in South west ern< Asia Maiami, 1956-196

6- Limet H. "Textes administratifs relatifs aux métaux", ARM XXV texte nº 16, Paris.

7- Michel C. "Le commerce dans les textes de Mari", Amurru I Mari, Ebla et les Hourrites dixans de travaux textes réunis par Durand, Paris, 1993.

8- Sauvaget J. Alep, essai sur le développement d'une grande ville syriènne, des origins au milieu du XIX siècle, Paris, 1994

9- Oppenheim L. " La Mésopotamie, portrait d'une civilization, Paris, 1970.

المجلات

١- فيصل عبد الله، بابل في عهد نابونيد آخر ملوكها، مجلة دراسات تاريخية، العدد ٦٣-٦٤، سورية – دمشق، ١٩٩٨.